المتحدة الاميركية سنوياً، وبعد ان أغلقت دول أوروبا الغربية وكندا واستراليا، مؤخراً، ابوابها، في وجه هؤلاء اليهود.

وازاء الرغبة القوية لدى عدد من اليهود السوفيات بمغادرة وطنهم، فان الخيار الوحيد المتاح أمامهم يظل محصوراً في الهجرة الى اسرائيل، أو عدم الهجرة نهائياً. فبعد ان أعلنت الادارة الاميركية عن انها سوف تفتح ابوابها سنوياً لثلاثين ألف يهودي سوفياتي فقط، أعلن نائب وزير الخارجية الاسرائيلية، بنيامين نتنياهو: «بعد ان تستوعب الولايات المتحدة الاميركية ٣٠ ألف يهودي سوفياتي سنوياً، سوف يضطر الباقون امّا الى القدوم الى اسرائيل، أو البقاء في الاتحاد السوفياتي»(١٠).

وهكذا يبدو جلياً ان اسرائيل تسعى الى استجلاب عناصر يهودية، تدرك، بوضوح، انها لم تكن راغبة أصلاً في اختيارها وطناً جديداً لها، وانها تأتي اليها مضطرة، بعد ان اغلقت الأبواب الأخرى في وجهها. ولعل هذا الموقف الاسرائيلي يعكس عمق المأزق الذي يعيشه الكيان الصهيوني، والذي يجعله يبدي حماساً زائداً لاستقبال اليهود الذين يأتون اليه بلا حماس.

الهجرة والمأزق الديمغرافي

تأتي موجة الهجرة اليهودية الحالية، والمتوقعة، من الاتحاد السوفياتي، في فترة بلغت الأزمة الديمغرافية داخل اسرائيل ذروتها، بحيث أصبح الحديث اليومي عن التزايد الطبيعي للفلسطينيين، واحتمال تفوّقهم العددي على اليهود، يشكّل هاجساً للشارع الاسرائيلي وللقوى السياسية الاسرائيلية. وتصدرت المسألة الديمغرافية برامج الأحزاب المتنافسة من زوايا مختلفة. وفي ظل تدنّي، وتأثر، الهجرة اليهودية خلال العقد الأخير، وتفاقم ظاهرة النزوح اليهودي الى خارج اسرائيل، أصبحت التوقعات الاسرائيلية للمستقبل أكثر سوداوية وتشاؤماً، واصبح التخلي عن أجزاء من الأراضي المحتلة العام ١٩٦٧، بما عليها من سكان عرب، الحل الذي يتبناه حزب العمل، ليس للصراع العربي ـ الاسرائيلي فحسب، بل، وربما بدرجة أعلى، للمشكلة الديمغرافية التي باتت تهدد وجود اكثرية يهودية في فلسطين مع السنوات الأولى من القرن المقبل.

لذلك، فان القوى السياسية الاسرائيلية، بمواقفها المختلفة، تنظر الى موجة الهجرة اليهودية الحالية، باعتبارها بداية رهان على امكانية تغيير الميزان الديمغرافي الحالي وتوقعاته المستقبلية في فلسطين المحتلة. أمّا القوى الأكثر يمينية وتطرفاً، فترى الى الهجرة الحالية على انها فرصة لانتهاج سياسة أكثر تشدداً في موضوعة التسوية، انطلاقاً من الحقائق الديمغرافية التي ستكرّسها الهجرة الجماعية المتوقعة من الاتحاد السوفياتي. قالت عضو الكنيست عن حركة هتحياه، غيئولاه كوهين: «لا سبيل الى المقارنة بين مفاوضات سياسية يتوجّه اليها السياسيون لدينا اليوم على ايديهم وأقدامهم، تطاردهم الكوابيس والأوهام الديمغرافية التي تتحدث عن أغلبية عربية ستغير الطابع اليهودي لهذه الدولة ذات الثلاثة ملايين ونصف المليون يهودي، وبين مفاوضات سياسية يذهب اليها السياسيون عندنا وهم يمثلون، ليس فقط دولة ازداد عدد سكانها نصف مليون أو مليون يهودي، وانما دولة رفعت رأسها بكبرياء، في حين كان رأسها، بالأمس، مدفوناً في الأرض»(١١).

وبالمحصلة، فان اليهود السوفيات ليسوا مجرد ارقام يمكن ان تضاف الى معادلة رياضية